

إسهامات الشيخ الطيب العقبي في الإعداد للثورة العربية سنة 1916 بالحجاز

د / كمال عجالي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة باتنة - (الجزائر)

المجلد ١٠
العدد ١٠



يتناول هذا المقال مشاركة أحد الأعلام الجزائريين من رجال الإصلاح - (الطيب العقبي 1889 - 1960) م. في الثورة العربية سنة 1916 ودعمه لقيام الدولة العربية بقيادة الشريف حسين بن علي بمكة المكرمة. فساهم بخطبه ومقالاته وأشعاره لتحقيق ذلك الهدف. فتعرض للنفي والتشريد ببلاد الترك، ما يقارب السنتين وزيادة. وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى رجع إلى مكة المكرمة فأسندت إليه رئاسة تحرير جريدة القبلة لسان حال الدولة العربية. كما تولى إدارة المطبعة الأميرية. وفي 4 من شهر مارس 1920 عاد العقبي إلى الجزائر بعد غياب طويل فكانت حياته في الجزائر محطة جديدة حافلة بنشاطات وأعمال أخرى.

1 - المولد والنشأة:

برع العقبي في علوم عديدة؛ منها اللغوية والشرعية، الأمر الذي مكّنه من الجلوس للتدريس والتعليم، فاصطنع لنفسه حلقة علمية خاصة به⁽³⁾ وقد كان الرجل كثير الإطلاع متفوقا في تحصيله ودراسته (حيث درس مختلف مراحل التعليم وصار مضرب المثل في العلوم النقليّة والعقلية، وكان يمد مختلف الصحف السياسية* هناك بعبء وافر بلغت الأنظار إلى مقدراته العلمية والأدبية والسياسية)⁽⁴⁾. اقترب العقبي من رجال وتيار الجامعة الإسلامية، ورواد النهضة العربية، وتعاطف مع الثورة العربية التي قامت في الحجاز بقيادة الشريف الحسين بن علي سنة 1916م، فاتهّمته السلطة العثمانية بالمشاركة في الأحداث ونفته إلى بلاد الترك. ف قضى هناك قرابة العامين. وبعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، عاد إلى مكة وقد

ولد الطيب العقبي في بلدة سيدي عقبة ولاية بسكرة سنة 1889 لأسرة متوسطة الحال، كانت تشتغل في فلاحه الأرض وغرس النخيل. هاجرت عائلة العقبي إلى بلاد الحجاز بقصد أداء فريضة الحج سنة 1895⁽¹⁾، وعقب أداء الفريضة استقر المقام بأفراد العائلة بمكة المكرمة لمدة سنة كاملة ثم أُلقت عصى الترحال بالمدينة المنورة. وقد أدخل العقبي الكتاب فحفظ القرآن في سن مبكرة، لكن الأقدار فاجأته بموت والده، وهو في سن الثلاثة عشر من عمره⁽²⁾ فكفلته أمه وعملت على تربيته بعد ذلك، التحق بالمسجد النبوي الشريف طلبا للعلم وتحصيل المعرفة، بعد أن حفظ القرآن الكريم وأتقن تجويده.

2 - إسهاماته في الإعداد للنورة 1916 بالحجاز

وبلغ السيل الزبي في التطرف التركي ودعوته
المعادية للعرب، إلى درجة أن "دعت صحيفة
(استامبول) الحكومة التركية إلى إجلاء العرب عن
ديارهم وتحويلها إلى مستعمرات تركية ولقنت
الحكومة التلاميذ أناشيد وقصائد تجعل من جنكيز
خان المثل الأعلى للزعيم المنقذ"⁽¹¹⁾.

إنه من الطبيعي أن يكون رد الفعل لدى
الشعوب الخاضعة للحكم التركي معاكسا لما سلكه
تيار "تركيا الفتاة" وحفز الشعوب إلى انتهاج نهج
مخالف لهم.

فنشطت الدعوات إلى القوميات المختلفة، ومنها
دعوة المفكرين العرب إلى القومية العربية كرد فعل
لسياسة القومية التركية وسياسة التتريك⁽¹²⁾، فضلا
عن الحكم الاستبدادي والتسلط الذي ساد أواخر
حكم السلطان عبد الحميد، الأمر الذي دفع
بالكثير من الشعوب إلى التذمر والتملل في كثير
من المناطق الخاضعة للدولة العثمانية .

ففي الحجاز مثلا "ظهر نوع من التنبه
والإحساس الوطني تمثل في تلك الحركة التي قام
بها بعض أهل المدينة المنورة ضد الحاكم التركي
علي باشا مرمحين في 1324هـ/1906م حينما أراد
هذا الأخير بغطرسته التركية إذلال أهل المدينة
ببعض تصرفاته الحمقاء، وأدت تلك الحركة
بالقائمين بها إلى محاكمة كانت نتيجتها إدانة
أربعين رجلا من أهل المدينة وعلمائها وأمر السلطان
بإبعادهم إلى الطائف مصفدين بالحديد ولم يقبل
شفاعة أحد فيهم، لأنه اخذ عنهم فكرة سيئة، وهي
إسقاط الخلافة العثمانية وإسنادها للعرب وقد مكث
أولئك الرجال في سجنهم ثمانية عشر شهرا"⁽¹³⁾.

لا مراء أن يكون العقبي - وهو النابه اليقظ -
قد سمع بهذه الحادثة المؤلمة وأن تكون قد عملت
عملها في أعماقه وتشجع إحساسه لكثرة حبه لدينه
الإسلام ولغته العربية وعلمائها الأفاضل، ثم هاهو
يشاهد حملة التتريك المسعورة تطبق قسرا
سنة 1908م حين «...اندفع رجال "تركيا

ما نستخلصه من خلال نشاط العقبي في بلاد
الحجاز، أنه لم يكن على وفاق مع السلطات
العثمانية، وخاصة بعد سنة 1908م، حين تولى تيار
تركيا الفتاة الحكم وهو المتهم بالماسونية⁽⁷⁾، والذي
سلك سلوكا معاديا للأمة العربية والإسلامية. ف
«من أفعالهم أنهم أبطلوا حتمية الصلاة في المدارس
الحرية وألحقوها بإصدار الأوامر إلى الجنود في مكة
والمدينة والشام التي تجبرهم بعدم الصوم في
رمضان وما زاد الطين بلة لجوؤهم إلى خلق البدع
والإحداث في الإسلام»⁽⁸⁾ ما ليس منه وانتهاج
سياسة التتريك، «فانطلقت العصبية الجنسية التركية
من عقالها وأنشأت تشدد وتستقوي، وبات جميع
"رجال تركيا الفتاة" على اختلافهم في شؤون
أخرى، يدعون إلى هذه العصبية وهم في سبيلها
مغامرون مستبسلون، غير أن تلك الإسماتمة
الكبرى التي قام بها الترك لتأييد عصبيتهم كانت
السبب الأكبر في حلول ما حل بساحتهم من
البلايا التالية وفاق بهم من الفواجع اللاحقة»⁽⁹⁾ .

أمام هذه الهجمة الشرسة، والعنصرية المقيتة
التي تجند لها العنصر التركي ضد الأمة العربية في
صورة استفزازية، حشدت لنصرتها مختلف
الوسائل المهيأة ف"بدأت الصحف التركية
بالإشادة بأمجاد الطورانيين* وشتيم العرب والدعوة
إلى تطهير اللسان التركي من الألفاظ العربية ورفع
أسماء الخلفاء الراشدين من المساجد، وأصبح واضحا
بقاء العرب تحت سيطرة الترك معناه "إفناء القومية
العربية ولغة العرب ولذا بدأ العرب يدعون إلى
استقلال البلاد العربية عن الدولة العثمانية"⁽¹⁰⁾.

* دعاة الطورانية: أولئك الذين كانوا يدعون إلى التتريك
وإحياء أمجاد العنصر التركي.

نشاطه، ولا شك أن تكون قد راقبته، وأحصت عليه حركاته وسكناته. ولما قامت الثورة سنة 1916م كان من جملة من اتهم بالمشاركة فيها. يقول أحمد شقار الثعالبي: «برزت موهبته الخطابية أثناء الثورة العربية فلفت إليه أنظار الأتراك، وأصبحوا يرون وجوب إبعاده عن الجماهير إحتياطيا من تأثيره وعزلا لطاقته عنهم، ففوه إلى "الروم إيلي" ثم إلى "أزمير" بحجة انتمائه إلى فكرة القومية العربية التي كان الأتراك يرونها أشد الأعداء وألد الخصوم»⁽¹⁸⁾.

غير أن كثيرا من نشاط العقبي في الحجاز مازال مجهولا لقلة المراجع التي كتبت عنه في هذه الحقبة الزمنية من حياته. ومن ثم فإن الكثير من الدقائق الخاصة به وبمساره في بلاد المشرق ظل في الكتمان والعقبي نفسه لم يصرح بكثير من الأشياء التي تضيء للدارس معرفة علاقته ونشاطه. وإن كان قد ملح إليها تلميحا في ترجمته وقد علل الأستاذ أحمد مريوش عدم المعرفة الكافية لكثير من الأحداث ونوع الإسهامات والمهام التي قام بها لصالح الثورة العربية والوظائف التي أنيطت به التي ربما يكون جوهريا حين قال: "وقد يكون لأسلوب السرية التامة الذي انتهجه دعاء النهضة في عملهم السياسي هو الذي ترك نشاط العقبي غير معروف في الحجاز بإستثناء ما أشار إليه في ترجمته بقلمه"⁽¹⁹⁾.

ولا نستبعد أن تكون وثائق مهمة قد ضاعت من بعد ترحيله إلى المنفى دون سابق إنذار⁽²⁰⁾، وتعرض المدينة للمداهمة من طرف الجنود الأتراك. والأمر نفسه قد وقع له في مدينة بسكرة بعد عودته إلى الجزائر إذ تعرض للتفتيش والاعتقال نحو شهرين⁽²¹⁾، ويمكن أن تكون قد أخذت منه وثائق تخصه لأن الفرنسيين قد تخوفوا منه وشكوا في أهدافه من العودة إلى الجزائر بعد هذه الغيبة الطويلة. وإثر عودة العقبي إلى بلاد الحجاز بعد النفي في بلاد الترك، شارك فعلا في نظام الدولة العربية بقيادة الشريف (الحسين بن علي)، واشتغل في صحافتها

الفتاة" اندفاعا كانوا فيه بعداء من التروي والحكمة يسوقهم سائق التعصب الجنسي الأعشى محاولين تترك المملكة قاطبة في فترة من الزمن يسيرة"⁽¹⁴⁾. في هذا الجو المشحون، كانت المدينة المنورة مسكن الطبيب العقبي يربطها بدمشق خط حديدي، دمشق تلك المدينة التي كانت تعج بالأفكار القومية التحريرية التي لا شك، أنها قد وصلت إلى المدينة بشكل أو بآخر. "وقد استفاد العرب من مد سكة حديد الحجاز، وإن كان السلطان عبد الحميد بطبيعة الحال لم يقصد مطلقا ما استفاده العرب فقد كان يهدف إلى مصالحه الخاصة، فإن هذا الخط قد سهل أسباب الانتقال من مكان إلى آخر وساعد على سريان الأفكار التحريرية في بلاد العرب، وقام الخط الحديدي بدور كبير في توجيه الحركة العربية وبعث القومية العربية"⁽¹⁵⁾.

ولنتصور معا كيف يكون شعور الطبيب العقبي في هذا الخضم المتلاطم بالأفكار المتصارعة - تركية وعربية - إذا ما لاحت له في الأفق بوادر قريبة من قلبه وعقله ولسانه، يتزعمها رجل من بني هاشم الأشراف. إن القريب إلى التصور أن ينطلق العقبي كالسهم ويرتمي في أحضانها، ويعمل ليل نهار على نشرها وإقناع الناس باتباعها بما أوتي من فصاحة القول وقوة البيان. "والظاهر أن معاصرة العقبي لإرهاصات القومية العربية بالمشرق قد أكسبه حماسا وتطلعا لمصير الأمة العربية الإسلامية خصوصا وأنه كان متفتح الذهن، مترتب الفكر، شديد الطموح، يشارك في القضايا السياسية والاجتماعية كما ذكرنا"⁽¹⁶⁾ بلسانه خطيبا وبقلمه كاتب مقالات وشعر، وأصبح رجلا مرموق المكانة يستضيف في بيته شخصيات مشرقية ومغربية بارزة⁽¹⁷⁾ قد يبادلونه الرأي والمناقشة في القضايا المهمة التي كانت تعج بها بلدانهم. والطبيعي والمنطقي، أن تكون السلطات العثمانية مطلعة على

* وربما قد تكون مصالحة الخاصة، في بقاء نفوذ هيمته على بلاد الشام وبقية الأقطار العربية التي بدأت ترع إلى الإستقلال عن الدولة العثمانية.

ودعا إلى مبادئها، وعمل على تحقيق أهدافها، بعد أن كانت مجرد تهمة تنسب إليه على حد قوله في ترجمته⁽²²⁾ ومما جاء في مدح الشريف (الحسين بن علي) مؤسس الدولة العربية قوله:

ووالله لولا الله أيد عرشكم

لكننا جميعا لعبة للأصاغر

كما أصبح الأتراك في الدهر آية

لمعتبر في تلكم الأرض عابر

ولكن أبي الرحمن إلا صيانة

لأمتكم إذ رد كيدا لفاجر⁽²³⁾

بعد هذا، لم يبق إلا الاعتقاد في تأثير العقبي بالفكرة التي كان يحملها دعاة قيام دولة عربية بقيادة الشريف حسين بن علي لإثبات تأثيره بالفكر القومي العربي، وقد توج تأثيره ذلك بالاشتراك في الدولة العربية ومدح شريفها وقد عرف أفراد الأسرة الهاشمية للشيخ الطيب العقبي بلاءه في قيام الثورة العربية سنة 1916م وما لقيه من نفي وتشريد وقهر واضطهاد من قبل الحكام الأتراك في المدينة المنورة وفي المنفي فجازوه وأكرموا أيما إكرام، فكلّف بمهمة جليلة تمثلت في القيام على جريدة القبلة⁽²⁴⁾ لسان حال الدولة العربية آنذاك، ثم أسندت إليه مهمة ثانية وهي القيام على المطبعة الأميرية التي تعد المطبعة الرسمية للدولة والتي فيها تطبع كل القرارات والمراسيم والمعاهدات الخاصة بالدولة الفتية، إذ لم تعهد إلا لرجل ثقة مخلص للدولة العربية الهاشمية.

وبعد ظروف جدت على العقبي حيث تعرضت أملاكه في الجزائر إلى النهب والضياع والإهمال فقفّل راجعا إلى الجزائر في 04 مارس 1920 م بعد أن كان قد تبوأ مكانة مرموقة ولولا عودته من مهجره لربما كان له شأن وأي شأن في تلك الدولة العربية الناشئة في بلاد الحجاز.

الخاتمة

نخلص من هذه المقالة إلى:

- 1 - أن العقبي قد عومل من قبل الأتراك كسياسي مناصر لقيام الدولة العربية وانفصالها عن الدولة العثمانية فعاقبته بالنفي إلى بلاد الترك.
- 2 - ناصر العقبي دعاة قيام دولة عربية بخطبه وربما بيع بعض كتاباته وأشعاره، فتعرض لحنة النفي والتشريد.
- 3 - لا نستبعد تأثر العقبي بالرعيّل الأول من دعاة القومية العربية أمثال محب الدين الخطيب وشكيب أرسلان الذي بقي على صلة به بعد ذلك.
- 4 - لم تذهب تضحيات العقبي سدى، فقد كوفئ من قبل الشريف حسين فأُسندت إليه إدارة تحرير جريدة القبلة وإدارة المطبعة الأميرية.
- 5 - لا زال كثير من الأحداث والنشاط غير معروف في حياة العقبي أثناء وجوده في بلاد الحجاز. ربما تكشف عنها الأيام مستقبلا بفضل البحث والتنقيب على آثاره.

الهوامش

- 1 - انظر محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1 المطبعة التونسية ط1/1926 ص 124.
- 2 - عبد الكريم بوصفصاف وآخرين، معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ج2 - منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية - جامعة منتوري قسنطينة - دار الهدى، الجزائر 2004، ص 220.
- 3 - انظر محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر، ج1 ص127.
- * حتى الآن لم يتمكن من معرفة ماهي الصحف التي كان قد نشر و كتب فيها.
- 4 - انظر محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة ج2 ط1/1971 ص 107.
- 5 - محمد الصالح الصديق، شخصيات ومواقف، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1992 ص 315.
- 6 - انظر محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر ج1/ ص 128.
- 7 - حكمت ياسين، السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الدار التونسية للنشر، 1981م ص 63.
- كذلك انظر د/ أبو القاسم سعد الله، سليمان الباروني أضواء وملاحظات، الثقافة ع 111/110 سنة 20، سبتمبر/ديسمبر 1995، ص 242.
- كذلك، د جعفر هادي حسين، فرقة الدومنة بين اليهودية والإسلام ط 1409/1 هـ/1986 دون ذكر المكان ص 85 وما بعدها.
- 8 - حكمت ياسين، السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية، ص 63.
- 9 - لوثرورب ستودارد الأمريكي، حاضر العالم الإسلامي نقله إلى العربية الأستاذ عادل نويهض مج 2 ج4 ص 81 وكذلك انظر د/ علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798-1914)، الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ط 1978/2 ص 137.
- 10 - د/علي حسني الخربوطلي التاريخ الموحد للأمة العربية الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1970 ص 226 - 227.
- 11 - المرجع السابق ص 227.
- 12 - انظر د/ عبد الله الركبي الشعر الديني الجزائر الحديث (ش و ن ت) الجزائر 1982، ص 684.
- وكذلك د/ محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي العربي (مراجعة نقدية) مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان (د ت) ص 94.
- 13 - عبد الرحيم أبو بكر، الشعر الحديث في الحجاز دار المريح للنشر الرياض (د ت)، ص 50-51.
- 14 - لوثرورب ستودارد الأمريكي، حاضر العالم الإسلامي مج 2 ج 4 ص 81.
- 15 - د/علي حسني الخربوطلي، التاريخ الموحد للأمة العربية ص 220.
- 16 - أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تحت إشراف د/ أبو القاسم سعد الله جامعة الجزائر معهد التاريخ بوزريعة السنة الجامعية 1991 - 1992/ ص 25 - 26.
- 17 - انظر المرجع السابق ص 26.
- 18 - أحمد شقار الثعالبي (الشيخ الطيب العقبي وسر التأثير في الجماهير). الشروق الثقافي عدد 26 من 20 إلى 27 جانفي 1994.
- 19 - أحمد مريوش الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية، ص 24.
- 20 - انظر الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1/ ص 228.
- 21 - انظر، محمد علي دبور نهضة الجزائر و ثورتها المباركة ج2 ص 108.
- 22 - انظر الهادي سنوسي، شعراء الجزائر، ج2 ص 228.
- 23 - قصيدة مصورة طبق الأصل من قصيدة محفوظة بمكتبة الشيخ الهاشمي بن مبارك إمام مسجد سيدي عقبة بسكرة - الجزائر - صورة عن أصلها لدى ابنه الأستاذ التواتي بن مبارك، سلمها لنا بتاريخ 1994/12/26.
- وانظر، كذلك د/ كمال عجالي (في مدح الشريف حسين بن علي) - المجلة الخلدونية (مجلة فصلية تصدر عن الجمعية الخلدونية، بسكرة الجزائر) ع 4 / جانفي فيفري مارس 2005.
- ص 32 وما بعدها.
- 24 - انظر محمد الهادي سنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1، ص 128.

